Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. ۹, No. ۱, (Issue ۱۷) Autumn & Winter ۲۰۲۵: ۱۵-۲۶
DOI: ۱۰,۳۰٤۷۳/anb.۲۰۲٦,۷۲٦٥۷,۱٤۲۸

ORIGINAL ARTICLE

The importance of realism in dealing with the enemy in the social thought of Imam Ali (AS)

Rezvan Najafi[۱*], Katayoun Nasiri[۲], Mohamadreza Mahmodpanahi[۳]

۱. Ph.D. graduate in Islamic Philosophy and Theology, lecturer at Islamic Azad University, Karaj, Iran
۲. Ph.D. student of Nahj al-Balagheh (Alawi Sciences), Payame Noor University, South Tehran
۳. Assistant Professor Department of Islamic Studies, Faculty of Theology, Payame Noor University, Tehran, Iran.

Correspondence:
Rezvan Najafi
Email:Najafirezvan۷۰@gmail.com

Received: ۲۲ Nov ۲۰۲٤
Accepted: ۱۳ Sep ۲۰۲٦

How to cite
Najafi, R., Nasiri, K. & Mahmodpanahi, M. (۲۰۲٥) The importance of realism in dealing with the enemy in the social thought of Imam Ali (AS). Current Studies in Nahj-ul-Balaghah, ۹(۱), ۱٥-۲٦.
(DOI: ۱۰,۳۰٤۷۳/anb.۲۰۲٦,۷۲٦٥۷,۱٤۲۸)

ABSTRACT

Choosing the prudent path of peace—whether through agreement or through struggle and *jihad*—constitutes the most significant principle in the conduct and ethical realism of Imam Ali (AS). The manner in which the Commander of the Faithful, Ali (AS), engaged with such individuals and those holding differing views reflects his profound inclination toward peace, tolerance, and peaceful coexistence. However, this commitment never meant that he invariably applied this same principle when confronting enemies, regardless of the circumstances. Rather, whenever an enemy plot, a breach of treaty, or an act of aggression was confirmed—posing a threat or assault against the very existence of Islam—he acted with absolute decisiveness and seriousness; an approach rooted in the Prophetic tradition and the Holy Quran. A prime example of the grave responsibilities incumbent upon Islamic rulers is the need to adopt a correct and appropriate stance in confronting the threats posed by Takfiri movements and ideologies. The era of the Imamate of the Commander of the Faithful, Ali (AS), stands as one of the most complex and challenging periods in early Islamic history. He assumed the reins of Imamate and governance during the most arduous and dire of times, enduring immense hardships and tribulations. From the perspective of the Commander of the Faithful, Ali (AS), adopting a guiding approach toward opponents and analyzing their political maneuvers held special significance. In this context, the manner in which he engaged with various intellectual and ideological currents—balancing magnanimity, gentleness, forgiveness, and peaceful coexistence against firmness, severity, steadfastness, and Jihad—represented a primary and fundamental concern for both Islam and Imam Ali (AS). This study seeks to answer the question of how the Commander of the Faithful, Ali (AS), conducted himself in his dealings with the elite and the opposition within Arab society; the alignment of this conduct with human rights principles is also of particular importance.

KEYWORDS

Amir al-Mu'minin (peace be upon her), Nahj al-Balagha, realism, social thought, ethical approach.

Copyright © ۲۰۲٥ The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial ٤,۰ International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/٤,۰/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة التاسع، العدد الأول (المتوالي ١٧) خريف و شتاء ١٤٠٤ش/ ١٤٤٧ق. (١٥-٢٦)

DOI: ١٠,٣٠٤٧٣/anb.٢٠٢٦,٧٢٦٥٧,١٤٢٨

«مقاله پژوهشی»

الواقعية الأخلاقية في فكر الإمام علي (عليه السلام) تجاه الخصوم : مع التركيز على حقوق الإنسان

رضوان نجفي[١*]، كاتيون الناصري[٢]، محمدرضا محمودپناهي[٣]

١ حاصلة على الدكتوراه في الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي، ومحاضرة في جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران.

٢. دكتوراه. طالب في نهج البلاغة (العلوم العلوية)، جامعة بيام نور طهران جنوب، طهران، إيران.

٣. أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية اللاهوت، جامعة بيام نور، طهران، إيران.

المؤلف المسؤول:
رضوان نجفي

بريد االكتروني:
Najafirezvan٧٠@gmail.com

تاريخ القبول: ١٤٤٦/٠٥/٢٠
تاريخ الاستلام: ١٤٤٨/٠٤/٠١

إرسال الاستشهاد إلى:
نجفي، رضوان؛ الناصري، كاتيون و محمودپناهي، محمدرضا. (١٤٤٧). الواقعية الأخلاقية في فكر الإمام علي (عليه السلام) تجاه الخصوم: مع التركيز على حقوق الإنسان. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٩(١)، ١٥-٢٦.

(DOI: ١٠,٣٠٤٧٣/anb.٢٠٢٦,٧٢٦٥٧,١٤٢٨)

المخلص

يُعدّ الاختيار الحكيم والمتبصّر بين السلم أو الاتفاق أو الصراع والجهاد المبدأ الأبرز في سلوك الإمام علي (عليه السلام) وفي واقعيته الأخلاقية؛ إذ تكشف الطريقة التي تعامل بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مع هؤلاء الأفراد وأصحاب الآراء المخالفة عن ميله العميق نحو السلام والتسامح والتعايش السلمي. ومع ذلك، فهذا لا يعني أنَّ حضرته كان يتصرف دائمًا وفقًا لهذا المبدأ الوحيد عند مواجهة الأعداء؛ بل على العكس، فكلما كُشفت مؤامرة للعدو، أو تأكدت انتهاكات للمعاهدات وأعمال عدوانية تهدد كيان الإسلام ذاته، كان يرد بحزم وحسم مطلقين، وهو نهجٌ متجذرٌ في السُّنة النبوية والقرآن الكريم. من المهام الجوهرية الملقاة على عاتق الحكام المسلمين، على سبيل المثال، اتخاذ موقف سليم وملائم في مواجهة التهديد الذي تشكله الحركات والأيديولوجيات التكفيرية. وتُعد حقبة إمامة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) واحدةً من أكثر الفترات تعقيداً وصعوبةً في التاريخ الإسلامي المبكر؛ إذ تولى زمام القيادة والحكم في ظل ظروف بالغة القسوة والخطورة، متحملًا في سبيل ذلك مشاقَّ ومحنًا جسيمة. من منظور أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، اكتسب تبني نهجٍ توجيهيٍّ تجاه الخصوم وتحليل تحركاتهم السياسية أهميةً خاصة؛ إذ تمحور الأمر حول أسلوب تعامله مع مختلف التيارات الفكرية والأيديولوجية، محققاً توازناً دقيقاً بين سماتٍ كالشهامة واللين والعفو والتعايش السلمي، وبين ضرورة الحزم والثبات والجهاد. تهدف الدراسة الحالية إلى بحث -من خلال منهجية نوعية وتحليلية- كيفية تعامل الإمام علي (عليه السلام) مع النخب والفئات المعارضة في المجتمع العربي، وتبيان مدى اتساق سلوكه مع مبادئ حقوق الإنسان.

الكلمات الدليلية:
اميرالمؤمنين (عليه‌السلام)، نهج‌البلاغه، واقع‌نگرى، انديشه‌اجتماعى، رويكرد اخلاقى.

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٤٧. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

تم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.

Creative Commons Attribution-NonCommercial ٤,٠ International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/٤,٠/)

مقدمة

إن تبني نهج واقعي وصادق تجاه الخصم، مقترناً بفهم مسار العمل الملائم، سواء كان ذلك اختيار «السلام الذكي»، أو خوض الصراع والنضال، أو التوصل إلى اتفاق وتسوية، يُعدّ ربما الحلقة المفقودة الأهم في عالم اليوم وفي منطقة الشرق الأوسط. وفي هذه المرحلة الحساسة، تستوجب هذه المسألة اهتماماً وتركيزاً يفوقان أي وقت مضى. يُعد التعايش السلمي قضية عالمية بالغة الأهمية، ولا سيما بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط؛ إذ تكتسب كيفية التعامل مع الأعداء والخصوم في وقتنا الراهن أهميةً متزايدة. ولا شك أن اعتماد نهجٍ يرتكز على العقل ويستند إلى تعاليم نهج البلاغة والقرآن الكريم، سيُمهّد الطريق نحو السعادة والهداية. ولإيجاز سلوك أمير المؤمنين (عليه السلام) في تعامله مع الأعداء في بيتٍ شعريٍ واحد، يمكن الاستشهاد بكلمات الشاعر حافظ: يكمنُ سلامُ الدارينِ في تفسيرِ هاتينِ الكلمتينِ: الرفقُ بالأصدقاءِ، والحلمُ مع الأعداء. ومع ذلك، واستناداً إلى مبادئه القائمة على الواقعية الأخلاقية، لم يكن التسامح مع العدو جائزاً إلا بالقدر الذي لا يتعارض فيه مع الشريعة ولا يزعزع وحدة الدولة الإسلامية وتماسكها. تُعد كيفية التعامل مع الشخصيات السياسية والحركات الفكرية البارزة جانباً جوهرياً من جوانب التفاعل السياسي والفكري؛ وهي مسألة طالما شغلت أذهان المفكرين والسياسيين على حد سواء. وتكشف التجربة الإنسانية عن طيف واسع من التفاعلات بين الحكام والنخب الفكرية أو الحركات المعاصرة؛ وهي تفاعلات غالباً ما اتسمت بأساليب غير حكيمة، مما أدى إلى نشوء تحديات جمّة. ونتيجة لذلك، ظل غياب نموذج ملائم ومنهجي ومحكم البناء لهذا النوع من التفاعل يمثل فجوة رئيسية تواجه الحكام. في الواقع، يبدو هذا الفراغ الجوهري في العلاقات السياسية العالمية أكثر وضوحاً اليوم من أي وقت مضى؛ إذ ترسم تعاليم الإسلام ومبادئه –بفضل ما تتسم به من شمولية وصلاحية لكل زمان– نموذجاً منظماً للبشرية في هذا المجال الحيوي. ونظراً للطبيعة الشاملة والخالدة لهذا الدين، فمن المنطقي تماماً أن تضع التعاليم الإسلامية إطاراً قائماً على المبادئ للبشرية في هذا الميدان الجوهري. وعلاوة على ذلك، يبرز الأئمة (عليهم السلام) – بما حباهم الله به من علم لدني، وقدرات فكرية فائقة، وإيمان وتقوى، وعصمة– كمرشدين ونماذج يُقتدى بها للبشرية في هذا الصدد.

يتناول هذا المقال الكيفية التي تعامل بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مع مختلف شرائح المجتمع؛ بما في ذلك المؤيدون والمعارضون، والتيارات الفكرية والأيديولوجية، والمخالفون (كالأعداء والمنافقين). ويستعرض المقال مدى صبره وتسامحه والتزامه بالتعايش السلمي، مقابل استخدامه للقوة وثباته وممارسته للجهاد. وعلاوة على ذلك، تحلل الدراسة مقارباته الاستراتيجية –التي تراوحت بين التكتيكات القائمة على المبادئ وبين التواصل مع المفكرين والنخب السياسية– فضلاً عن حسه المرهف في اختيار التوقيت المناسب. ويتمحور هذا التحليل حول دراسة سلوكه السياسي المستند إلى التعاليم القرآنية والسنة النبوية، إلى جانب أساليبه المحددة في التعامل مع الخصوم، وطيف ردود أفعاله المتنوع تجاه الأعداء والفصائل المعادية على مر الزمن.

حلفية البحث

– درس فاروخي وآخرون (٢٠١٧) نموذج التعامل مع الخصوم في عهد الإمام علي (عليه السلام) (دراسة حالة للخطب والرسائل الواردة في "نهج البلاغة")؛ حيث حدد الإمام علي (عليه السلام) كلاً من هداية الضالين نحو الحق، وتعزيز السلام والمصالحة، بوصفها أهدافاً لتفاعلاته مع الخصوم. في الواقع، ومن خلال توظيف أساليب وأدوات التواصل المذكورة آنفاً – مع الالتزام الصارم بالمبادئ الأخلاقية والإنسانية واحترام كرامة خصومه – تعامل الإمام علي (عليه السلام) معهم انطلاقاً من نوايا خيّرة، وسعياً لإرساء دعائم السلام والمصالحة؛ إذ كان هدفه الأسمى والمنشود هو هداية الضالين إلى طريق الحق.

– محقق داماد (٢٠٠١)، الإمام علي (عليه السلام) وحقوق الإنسان: لعلّ مناقشة حقوق الإنسان من منظور الإمام علي (عليه السلام) تُعدّ أفضل السبل لاستكشاف هذا المجال الحقوقي؛ إذ يُجمع على أن الإمام علي (عليه السلام) كان –بعد النبي– الأكثر فهماً للإسلام وعمقاً في إدراكه. وعلاوة على ذلك، فقد تولى مقاليد الدولة الإسلامية –وإن كان ذلك لفترة وجيزة– وشهد عهده تنوعاً

في الأعراق واللغات والألوان والأديان والأقاليم يفوق ما شهدته أي حقبة أخرى.

علاوة على ذلك، ينطوي مجال الحكم في الدولة الإسلامية على مشاركة جماعات سياسية وعقائدية ولاهوتية متنوعة. وقبل اعتماد أسلوب الحكم الذي انتهجه علي (عليه السلام)، كان التاريخ الإسلامي قد شهد بالفعل تجارب شتى، تراوحت بين المرارة والحلاوة. وتجعل كل هذه العوامل من فهم المفاهيم والنقاشات المتعلقة بحقوق الإنسان –من منظور علي (عليه السلام)– أمراً بالغ الأهمية وملموساً في آن واحد.

أعداء الإمام علي (عليه السلام) وخصومه

يمكن تصنيف أعداء الإمام علي (عليه السلام) وخصومه إلى ثلاث مجموعات رئيسية: «الناكثين»، و«القاسطين»، و«المارقين»، وقد واجههم الإمام في معارك كبرى:

الناكثون: وهم الذين بايعوا الإمام ثم نقضوا بيعتهم وأشعلوا فتيل «معركة الجمل». وكان أبرز قادتهم طلحة والزبير، كما وقفت إلى جانبهم في هذه المعركة عائشة (زوجة النبي).

القاسطون: بقيادة معاوية بن أبي سفيان، والي الشام، الذي رفض الاعتراف بحكم الإمام وبادر بإشعال «معركة صفين». وكان أنصاره من بني أمية وأهل الشام؛ وسعياً منه للنيل من مكانة الإمام، أمر معاوية بسبّه وشنّ حملة دعائية ضده.

«المارقون» (الذين خرجوا عن الدين): فئة من جيش الإمام نفسه رفضت عملية التحكيم خلال معركة صفين، وكفّرت الإمام وانشقت عنه. وقد خاضت هذه الجماعة –المعروفة باسم «الخوارج»– معركة النهروان ضد الإمام، كما قام أحد أفرادها، وهو ابن ملجم المرادي، لاحقاً باغتيال الإمام (والتسبب في استشهاده) بينما كان في محراب الصلاة.

وإلى جانب هذه المجموعات الثلاث الرئيسية، يُشار إلى أفراد آخرين باعتبارهم أعداءً أو خصوماً للإمام، ومن بينهم أبو موسى الأشعري –الذي كان له دور في واقعة التحكيم– وعمرو بن العاص (أحد قادة معاوية)، وعبد الله بن الزبير. والجدير بالذكر أن العديد من هؤلاء الخصوم كانوا يظهرون الإسلام، بل إن بعضهم كان يُعدّ من صحابة النبي. لقد جعل هذا الوضعُ صراعَ الإمامِ ضدهم بالغَ الصعوبة؛ فمن ناحيةٍ، كانوا يدّعون التمسك بالإسلام، ومن ناحيةٍ أخرى، حادوا عن الطريق القويم مدفوعين بالشهوات والأهواء الشخصية.

الواقعية الأخلاقية في «نهج البلاغة»

تُشير الواقعية الأخلاقية في «نهج البلاغة» إلى الإيمان بوجود حقائق موضوعية تتعلق بالخير والشر؛ وهي حقائق ثابتة ومستقلة عن العقل أو العرف الاجتماعي أو التفضيلات الشخصية. ومن منظور الإمام علي (عليه السلام)، فإن القيم الأخلاقية ليست مجرد اصطلاحات أو أمور نسبية، بل هي متجذرة في نظام الوجود والفطرة الإنسانية. وتتجلى هذه الرؤية في أربعة مجالات أساسية:

١– إن الأساس الوجودي للأخلاق في «نهج البلاغة» – المستمد من ذات الله ونظام الخلق– لا يمثل مجرد مجموعة من التوصيات النفسية، بل يرتكز على العدالة التكوينية (الوجودية/الكونية). إذ يقول الإمام: «العدلُ وضعُ كلِّ شيءٍ في موضعه» (الحكمة: ٤٣٧). وهذا يعني أن للخير والشر نظاماً موضوعياً في صميم الوجود، وأن الظلم لا يُعد مجرد خطأ أخلاقي، بل هو اختلال للنظام الحقيقي للعالم. ففي الخطبة رقم ١٨٥، يقول: "قَامَتِ الْأَرْضُ عَلَى الْعَدْلِ"؛ وبذلك، تُعد العدالة حقيقةً ميتافيزيقية.

٢– الفطرة: وهي الهوية الأخلاقية الكامنة (الموضوعية المتأصلة في الكيان الإنساني). يرى الإمام علي (عليه السلام) أن المبادئ الأخلاقية الأساسية مودعة في الطبيعة البشرية (الخطبة: ٩١) «فطرهم على معرفته»؛ وهذا يعني أن الإنسان يدرك بفطرته قبح الظلم وجمال الإحسان، وإن كانت الشهوات قد تحجب هذا الإدراك. ولهذا السبب، يرفض الإمام النسبية الأخلاقية، مؤكداً على ضرورة مخالفة الهوى، إذ يقول: «خالِفِ الهوى، فإنه يصرفك عن طريق الحق» (الرسالة: ٥٣).

٣- العقل: كاشفٌ للواقع لا صانعٌ للقيمة. في الفلسفة الأخلاقية لـ "نهج البلاغة"، يعمل العقل كأداة للإدراك لا كأداة لسنّ القوانين؛ إذ يشير الإمام إلى العقل بوصفه «الحجة الباطنة» (الرسالة: ٥٣)، ويؤكد قدرته على تمييز الخير الذاتي في الأفعال. ولو كانت الأخلاق نسبية، لانتفت الحاجة إلى استخدام العقل للتمييز بين الحق والباطل؛ غير أن الإمام يدعو الناس مراراً وتكراراً إلى التأمل في عواقب أفعالهم.

٤- العواقب الملموسة وقانون السببية الأخلاقية: من أبرز مظاهر الواقعية في «نهج البلاغة» تلك الرابطة السببية الحتمية بين الفعل والنتيجة؛ إذ يقرر الإمام أن «إعانة الظالم -أو الرضا بظلمه- تؤدي إلى زوال النعم» (الخطبة: ١٧٦)، ويقول في موضع آخر: «من يلتزم التقوى في شؤونه، تُيسَّر له تلك الشؤون» (الحكمة: ١٣٦). وهذا يعني أن الفضيلة والرذيلة تترتب عليهما عواقب وجودية قائمة بذاتها ومستقلة عن الأعراف الاجتماعية، تماماً كحال القوانين الفيزيائية.

وفيما يلي بعض المبادئ والأولويات التي راعاها الإمام علي (عليه السلام) في تعامله مع الأعداء والخصوم:

عدم البدء بالعدوان

كان أمير المؤمنين عازماً على عدم البدء بالعدوان، وكان يتجنب تماماً إشعال فتيل الحرب. ومع ذلك، فبمجرد أن يصبح الصراع وشيكاً، كان يبادر إلى حشد جيشه وإعداده؛ ورغم ذلك، وحتى عند مواجهة العدو، كان يسعى للتفاوض مع القائد المقابل أملاً في تسوية الأمر سلمياً. فعلى سبيل المثال، خلال «معركة الجمل» - وبينما كان يتحلى بالصبر في مواجهة "الناكثين" (من نكثوا العهد) ويمتنع عن بدء القتال- أرسل أحد أصحابه حاملاً المصحف الشريف إلى العدو لدعوتهم إلى الصلح؛ إلا أن العدو أقدم على قتل ذلك الصحابي، وبذلك كانوا هم من بادروا بإشعال الحرب (الطبري، ١٣٧٨: ٥١٥).

في الرسالة الرابعة عشرة من كتاب «نهج البلاغة»، يوجه الإمام علي (عليه السلام) جيشه بالتعليمات التالية قبيل مواجهة العدو في صفين:

«لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم بالقتال؛ فالحمد لله، الحجة لكم، وانتظاركم حتى يبدأوا القتال يُعدُّ حجةً أخرى لصالحكم وعليهم. وإذا ولّوا الأدبار هاربين -بإذن الله- فلا تقتلوا المدبرين الفارين، ولا تؤذوا العاجز، ولا تجهزوا على الجريح، ولا تتعرضوا للنساء بأذى أو استفزاز -حتى وإن نِلنَ من أعراضكم أو شتمنَ قادتكم»

«...فالنساء ضعيفات البنية، وواهنات الروح والعقل. وحتى حين كنّ مشركات، أُمرنا بالكف عن إيذائهن. ففي الجاهلية، جرت العادة بأنه إذا اعتدى رجل على امرأة بحجر أو عصا، لحقت بها وبالأطفال الذين تنجبهم بعد ذلك وصمةُ عارٍ ومذمة[1]» (دشتي، ١٣٨٩: ٣٥٠).

تجنب نقض العهود

يزخر السلوك الأخلاقي لأمير المؤمنين -وما يتضمنه كتاب «نهج البلاغة» من حكمة- بالمبادئ الأخلاقية والرؤى العميقة؛ إذ يُعد الإحسان وتجنب العنف من أبرز سماته. كما يُولى اهتمامٌ بالغٌ بالوفاء بالاتفاقيات وتجنب نقض العهود؛ حيث يؤكد أمير المؤمنين بشدة على عدم جواز نقض المواثيق المبرمة، سواء مع العدو أو مع عامة الناس. وفضلاً عن الأبعاد الأخلاقية، فإن الغدر بالعدو يولد انعدام الثقة، مما يجعل المصالحة أو التعايش أمراً مستحيلاً. وفي الخطبة رقم ٢٠٠ من نهج البلاغة، يتناول أمير المؤمنين سلوك معاوية، مشدداً على قبح الغدر، ومعتبراً إياه ذنباً لا يُغتفر يخرج مرتكبه من دائرة الإيمان (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣١٨). لقد أُولي اهتمامٌ كبيرٌ بضرورة مراعاة الإنصاف والأخلاق، حتى في أوقات الحرب وعند مواجهة العدو. ورغم سعي هيئات حقوق الإنسان والمنظمات الدولية إلى وضع أطر وقوانين تنظم شؤون الحرب والسلم، إلا أن

١. ومن وصية له (عليه السلام) لعسكره قبلَ لقاء العدوّ بصفّين: لَا [تُقَاتِلُوهُمْ] تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ؛ فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى والْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ؛ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

العديد من الدول تخفق في الالتزام بها؛ فعلى سبيل المثال، ينبغي أن تقتصر العمليات الحربية على المقاتلين العسكريين وألا تمتد لتشمل أهدافاً مدنية، كالمدارس. وفي المقابل، يُظهر نهج الإمام علي أن مواجهة العدو بأساليب تنتهك الأخلاق ومبادئ الفروسية والشهامة أمرٌ غير جائز؛ إذ كان –على سبيل المثال– يؤخّر القتال إلى نهاية اليوم، بحيث يقل عدد الضحايا في كلا الجانبين مع حلول الظلام (ابن بابويه، ١٣٨٥: ٦٠١). لا تزال هذه المسألة تحظى بأهمية بالغة في وقتنا الراهن؛ فالالتزام باتفاقيات وقف إطلاق النار وشروط التفاوض – أي عدم نقض العهد – يضفي شرعيةً ومصداقيةً على صورة الدولة في نظر العالم.

نموذج التعامل القائم على السلم

تُعدُّ اللباقةُ والكياسةُ زينةً للشخصية الإنسانية؛ فهي تحول دون الانحراف عن نهج الاعتدال وتوجه القرارات نحو العقل والمنطق. وفي سياق التعامل مع الخصوم، فإنها تمنع العداء غير المبرر وتعزز الحكمة والتروي في التصرفات؛ إذ يمكنها ردع عدوانية الخصم وجرأته، بل وحتى هدايته إلى الصواب. وبذلك، فهي تخفف من الآثار المدمرة للحرب، وتحقق الغايات التربوية لمفهوم "الجهاد" في الإسلام، وتكتسب طابعاً إصلاحياً؛ وهو ما تؤكده القصص والروايات العديدة التي تناقلناها –منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا – حول أثر هذا السلوك في الخصوم.

– الصمت

يعود اختيار الإمام (عليه السلام) لهذا الأسلوب في التعامل مع الخصوم، إلى حد كبير، إلى المرحلة التي سبقت توليه السلطة. وقد بيّن الإمام بنفسه –في روايات متعددة– الأسباب الرئيسية لذلك، وهي: الحفاظ على الإسلام ووحدة المسلمين، ودرء الفتنة والانقسام، وقلة الأنصار. فعلى سبيل المثال، في الأيام الأولى التي تلت مبايعة الناس للخليفة الأول واستيلائه على السلطة، نظم أبو لهب أبياتاً من الشعر وأنشدها أمام الناس مشيداً بفضل الإمام (عليه السلام) ومكانته؛ غير أن الإمام (عليه السلام) نهاه عن ذلك قائلاً: «سلامة الدين أحب إلينا من كل شيء» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢١).

يستشهد الإمام بهذا المبدأ باعتباره أحد الأساليب الأساسية لمواجهة العدو؛ فعندما شتم رجلٌ قنبراً (خادم الإمام) وهمَّ قنبر بالرد عليه، كفَّه الإمام قائلاً: «...والله، ما أرضى المؤمنُ ربَّه بمثل الحلم، ولا أغضب الشيطانَ بمثل الصمت، وما عُوقب أحمقُ بمثل السكوت عنه» (المفيد، ١٤١٣: ١١٨). لا يقتصر دور الصمت على الحيلولة دون النطق بكلمات قد تُؤجج نار الغضب والعداء فحسب، بل إنه –كما أشار الإمام (عليه السلام)– يُعدّ أيضاً لوناً من ألوان العذاب النفسي عند التعامل مع الجاهل، إذ يعمل فعلياً كوسيلة للعقاب. وتكمن علة هذا العذاب في أن الصمت يترك المرء في حالة من الغموض التام إزاء أفكار الطرف الآخر؛ فعندما يعجز الفرد عن تقدير رأي الآخر في أقواله وأفعاله أو إدراك كيف يُنظر إليه، تسيطر عليه حالة من الاضطراب الداخلي والانشغال بمراجعة الذات. وحين يُحرم المرء من القدرة على توقع الخطوة التالية للطرف الآخر أو التخطيط لتصرفاته اللاحقة، فإنه يُشلّ عن الحركة فعلياً؛ مما يجعل من الصمت استراتيجية دفاعية لا تنطوي على أي ضرر أو تكلفة.

– التسامح

عند استعراض نهج الإمام علي (عليه السلام) في التعامل مع الخصوم، نجد أمثلة عديدة على التسامح واللين في سلوكه، مما يبرز أهمية هذا النموذج في التعامل. وفيما يلي بيان لبعض هذه الأمثلة:

على الرغم من أن أخذ البيعة كان قد أصبح ممارسةً ملزمةً في عهد الخلفاء الذين تعاقبوا بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، إلا أن الإمام علي ترك الناس أحراراً في هذا الشأن خلال فترة خلافته، وأصدر أوامر تمنع اتخاذ أي إجراء عدائي ضد من امتنعوا عن مبايعته. (المجلسي، ١٣٦٢: ٧–٨). لقد عاملهم الإمام برفق ولين؛ فأخذ العهد من بعضهم بعدم التعرض له بسوء ثم أطلق سراحهم. وقد أشار إلى هذا الأمر في رسالة وجهها إلى أصحابه عقب مقتل محمد بن أبي بكر، قائلاً: "قَبِلْتُ بيعةَ مَنْ بايعَ طائعاً، ولم أُكْرِهْ أحداً لم يرغب في ذلك، بل تركتُهم وشأنَهم" (الثقفي، ١٣٥٣: ٣١٠). وقد تم ذلك رغم امتلاك الإمام (عليه السلام) القدرةَ على إجبارهم على المبايعة، إلا أنه تصرف وفقاً للمبادئ والسلوكيات النبوية والعلوية.

– التسامح مع التعبير عن الآراء المعارضة (الحرية السياسية والانفتاح على النقد)

على الرغم من أن العديد من الأفراد عارضوا الإمام (عليه السلام) وحكومته علناً، إلا أنه لم يكتفِ بعدم ممارسة ضغوط اجتماعية عليهم أو فرض قيود أو تدابير عقابية بحقهم، بل تبنى نهجاً قائماً على التسامح والوئام من خلال السماح لهم بالتعبير عن آرائهم؛ وسنورد هنا بعض الأمثلة على ذلك.

١. في الخطبة التي ألقاها الإمام بشأن مسير «أصحاب الجمل» نحو البصرة –وبعد أن بيّن وجوب طاعة القيادة وعواقب العصيان– قام بتحليل وكشف مؤامرات فئة «أصحاب الجمل»، قائلاً: «لقد اجتمعوا بدافع السخط على حكمي؛ ومع ذلك، سأتحلى بالصبر ما لم أرَ تهديداً لوحدتكم الاجتماعية؛ إذ لو نجحوا في تنفيذ مآربهم الخبيثة، لاختلّ نظام شؤون المسلمين...« (السيد الرضي، ١٣٩٤)؛ (الخطبة: ١٦٩). يُبيّن هذا التصريح الصادر عن سماحته أن الإمام انتهج أسلوب الصبر والتسامح مع معارضي حكمه؛ فقد سمح بالتعبير عن الرأي المخالف، ولم يتدخل إلا عندما كانت تلك المعارضة تُعرّض الوحدة الاجتماعية والأمن العام للخطر. وتشير الروايات الموثقة بوضوح وثبات إلى أن سماحته (عليه السلام) أتاح لمعارضيه حرية إبداء آرائهم وممارسة حرية المعتقد، مُعاملاً إياهم بتسامح دائم. ويُعد التسامح مبدأً يُعزز الوحدة –التي تضمن بدورها الأمن المجتمعي– كما يبعث على التفاؤل والأمل في نفوس الناس، ويُمهّد الطريق –في بعض الحالات– لهداية الأفراد.

٢. التمييز بين الواقعية العلمانية والواقعية في «نهج البلاغة»

تتسم الواقعية في نهج البلاغة بطابع إلهي؛ أي أنها تستمد موضوعية مبادئها الأخلاقية العليا من مشيئة الله وذاته. ومع ذلك، لا يعني هذا وجود أي تعسف أو اعتباطية، فمشيئة الله تستند دائماً إلى الحكمة والفطرة الإنسانية. وبعبارة أخرى، يتجه كل من العقل والوحي في "نهج البلاغة" نحو حقيقة موضوعية واحدة. وقد شكّل هذا المبدأ أساس الدفاع العقلاني الذي قدمه الإمام علي (عليه السلام) في مواجهة الخوارج وأتباع الهوى، حين قال: «لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الرجال بالحق» (الرسالة: ٥٣)؛ وهو ما يعني أن الحق موجود ومستقل عن الأفراد والظروف. وخلاصة القول في عبارة واحدة: إن الأخلاق في نهج البلاغة، شأنها شأن القوانين الرياضية ثابتة وقابلة للاكتشاف، وليست مجرد مسألة اصطلاحية خاضعة للتغيير وفقاً للرأي العام أو مقتضيات العصر.

نهج البلاغة وحقوق الإنسان

في نهج البلاغة، يستند التعامل مع الخصوم في سياق حقوق الإنسان إلى مبادئ أخلاقية راسخة؛ فمع التأكيد على قيمتي الرحمة والعدل، يُشدَّد أيضاً على أهمية الحيطة واليقظة. وفيما يلي عرض لأبرز هذه المبادئ:

مبدأ الكرامة المتأصلة والتسامح مع جميع البشر: لقد نظر الإمام علي (عليه السلام) إلى الناس جميعاً بوصفهم عباداً لله، وأقرَّ لهم بالكرامة بغض النظر عن أديانهم أو معتقداتهم. وقد أكد في رسالته إلى مالك الأشتر على ضرورة احترام حقوق جميع الأفراد –حتى الخصوم منهم–؛ إذ ارتكز نهجه تجاه المعارضين السياسيين على مبادئ العدل وحرية التعبير واحترام الحقوق المدنية، بل إنه كان يتقبّل المعارضة المدنية ما دامت لا تؤدي إلى الفوضى أو تهدد النظام العام.

تُعد قيم التسامح والعفو وإعطاء الأولوية للمصالحة ركائز أساسية؛ ومن أبرز تعاليم نهج البلاغة تلك النصيحة التي تحث على العفو عند بلوغ ذروة القدرة والتمكّن: «إذا قدرتَ على عدوّك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه». وهذا يعكس تفضيل المصالحة والعفو على الانتقام، حتى تجاه الخصوم المهزومين. وفيما يتعلق بالتسامح مع المعارضين وحرية التعبير، فقد أقرّ الإمام علي (عليه السلام) بمبدأ المعارضة المدنية وتقبّلها، شريطة ألا تؤدي إلى الفوضى أو تهدد الأمن العام.

لقد تبنى الإمام (عليه السلام) نهجاً متميزاً في التعامل مع كل من «القاسطين» (المنحرفين)، و«الناكثين» (الذين نقضوا العهد)، و«المارقين» (الخارجين عن الدين أو الجماعة). وفي حين وازن بين اللين والحزم في مواجهة التهديدات، شدد الإمام (عليه السلام) على ضرورة اليقظة تجاه مؤامرات الأعداء والحزم في الدفاع عن سلامة الإسلام. كما وضع مبادئ جوهرية للتفاوض مع العدو؛ وهي مبادئ ترتكز على الحزم والبصيرة وصون الكرامة الإسلامية. وتُعد الرسالة الموجهة إلى مالك الأشتر بمثابة «ميثاق للحقوق المدنية»؛ إذ يمكن

اعتبارها إعلاناً شاملاً يقر بحقوق جميع أفراد المجتمع، بما في ذلك الخصوم والأعداء على حد سواء.

وهكذا، يُقدّم نهج البلاغة نموذجاً فريداً يجمع بين الرفق بالخصوم والحزم في مواجهة المعتدين؛ إذ يؤكد هذا المنظور على صون الكرامة الإنسانية ونبذ الظلم، باستثناء الحالات التي تتطلب التعامل مع من يشنون حرباً على الحق. وإذا كنت مهتماً باستعراض نصوص محددة من "نهج البلاغة" أو بمقارنة هذه المبادئ بمفاهيم حقوق الإنسان المعاصرة، فسيسرني مناقشة هذا الأمر بمزيد من التفصيل.

مواجهة الإمام علي (عليه السلام) للأعداء

تُعد مواجهة الإمام علي (عليه السلام) للأعداء حقيقةً ملموسة؛ غير أن النهج العلويّ، كما يتجلى في نهج البلاغة يُظهر أن أحكام الخير والشر، حتى في ذروة العداء، لا تخضع للمصالح أو العواطف، بل تستند إلى مبادئ إلهية ثابتة. وتتمثل هذه الواقعية في أربع قواعد عملية:

– العدل حتى في ظل العداوة (مع التمييز بين «العداوة» و«الظلم»): في الرسالة رقم ٥٣ الموجهة إلى مالك الأشتر، يقرر الإمام صراحةً: «انظر إلى الصديق والعدو بعين العدل ذاتها؛ لئلا تدفعك المودة للصديق نحو الظلم، أو تحملكَ العداوة للعدو على ارتكاب الجور». وهذا يعني أن العداوة لا تغير الحقيقة الموضوعية لـ«الحق» أو «الصواب». فخلال معركة صفين، لم يسمح بأن تدفع العداوةُ تجاه معاوية قواتِه إلى التمثيل بالأسرى أو ارتكاب المجازر بحقهم؛ لأن «الظلم» فعلٌ مذمومٌ في جوهره، بغض النظر عما إذا كان يقع على صديق أو عدو.

– إن الالتزام بالعهود – حتى مع عدوٍ مخادع – يعكس ضرباً من الواقعية الأخلاقية؛ إذ لا يُنظر إلى المعاهدات بوصفها مجرد اتفاقيات اعتباطية غير مستقرة، بل كتجسيد لقيمة الوفاء. فعندما رفع عمرو بن العاص المصاحف على أسنّة الرماح –في حيلةٍ منه– لوقف المعركة، قبل الإمامُ الهدنةَ رغم إدراكه التام لتلك الخديعة (الخطبة: ٢٢٩): «دَعَوْا إلى كتاب الله، وإنما هي خديعة». ومع ذلك، لماذا قبلها؟ لأن الاحتكام إلى القرآن –وإن استُخدم ذريعةً للمكر– كان يمثل قيمةً موضوعية (احترام الظاهر من كتاب الله) لم يكن بوسع الإمام مخالفتها علناً. وفي رسالةٍ وجهها إلى معاوية (الرسالة ٤٥)، يؤكد الإمام أن العدو إذا أبرم عهداً، فإن الوفاء به يصبح واجباً؛ فالعهد «ينطوي على ثقلٍ وجلالٍ إلهي»، ونقضه ينسف جوهر الأخلاق ذاته.

– ضوابط الحرب والقيم الإنسانية المشتركة: عند إرسال القوات (الرسالتان: ٢٧ و١٤)، نهى الإمام صراحةً عن قتل كبار السن والنساء والأطفال، وعن التمثيل بالجثث، وملاحقة الفارين من أرض المعركة. وتستند هذه الأحكام إلى الحقيقة الموضوعية المتمثلة في الكرامة الإنسانية؛ إذ إن العدو –أيضاً– إنسان، وهذه الكرامة لا تزول بمجرد اتصاف المرء بالكفر أو النفاق. وفيما يتعلق بالخوارج في واقعة النهروان –الذين كانوا يكفّرون الآخرين– قال الإمام: «لا تقتلوهم ما لم يستلّوا سيوفهم» (وفقاً للرواية التاريخية)؛ لأن الانحراف العقدي لا يُسوّغ سلب الحق الأساسي في الحياة.

– التمييز بين «العداوة السياسية» و«نار جهنم الأبدية» (حكم واقعي): تقتضي الواقعية الأخلاقية ألا نحكم –بناءً على أهواء شخصية– بعقاب أبدي على أعدائنا. وفيما يتعلق بمعاوية وأهل الشام، يقول الإمام: «الله يحكم بينهم وبيني؛ وإنما وقفتُ في وجه سفكهم للدماء وفسادهم» (الخطبة ٦٣). فهو لا يحكم على عدوٍّ بـ«اللعنة الأبدية» لمجرد عدائه؛ بل يترك الحكم النهائي للعلم الإلهي، معتبراً أفعال الظلم الملموسة –كَنقضِ البيعة وقتل المسلمين– مجردَ تجاوزاتٍ تستوجب الجزاء الدنيوي فحسب.

في مدرسة الإمام علي الفكرية، لا تُعد مواجهة العدو «لعبة قوى»، بل هي إقامة للعدل في أحلك الظروف وأصعبها. ففي الخطبة رقم ١٢٧، يقول: «لَنْ أُحَقِّقَ النَّصْرَ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِنَّ النَّصْرَ الْمُكْتَسَبَ بِالْمَعْصِيَةِ هُوَ هَزِيمَةٌ حَقِيقِيَّةٌ». وهذا يعني أن اللجوء إلى الباطل أو الحيل غير المشروعة أو الظلم لهزيمة العدو يمثل انتهاكاً لجوهر «الحق» ذاته؛ وتكون النتيجة –وإن بدت انتصاراً على المدى القصير– حتماً «انهياراً أخلاقياً» على المدى البعيد. ولهذا السبب، تُعد وصيته لأبنائه (الرسالة: ٣١) تجسيداً أسمى لهذه الواقعية: «عَامِلْ عَدُوَّكَ بِحَيْثُ لَوْ صَارَ صَدِيقاً لَكَ لَمْ تَشْعُرْ بِالنَّدَمِ، وَلَوْ بَقِيَ عَدُوّاً

لَكَانَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ قَائِمَةً تَمَاماً». ويعكس هذا الموقف إيماناً بقانون السببية الأخلاقية: إذ إن ظلم العدو يخل بالنظام الكوني بما يضر بالظالم نفسه، بغض النظر عن أي مبررات سياسية أو دعائية.

تحليل مقارن بين «نهج البلاغة» وحقوق الإنسان

ينبغي التمييز بين «الأسس النظرية» و«الواقع العملي» في كلا النظامين (نهج البلاغة وحقوق الإنسان المعاصرة). ويكشف التحليل المقارن أنه، فيما يتعلق ببعض المبادئ، تتفوق أحكام الحرب في «نهج البلاغة» على الصكوك الدولية الحديثة؛ ومع ذلك، توجد اختلافات جوهرية تتعلق بآليات الإنفاذ ونطاق التطبيق:

١. المبادئ المشتركة (أوجه التشابه المعياري)

حظر قتل المدنيين: يحظر «نهج البلاغة» (الرسالتان: ١٤ و٢٧) قتل النساء والأطفال وكبار السن والرهبان. ويتماشى هذا تماماً مع مبدأ التمييز (المادة ٤٨ من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف).

حظر التعذيب والتمثيل بالجثث: خلال معركة صفين، نهى الإمام علي (عليه السلام) عن التمثيل بجثث الأعداء (الخطبة: ٥٦)، وهو ما يتماشى مع الحظر الوارد في المادتين ١٣ و١٤ من اتفاقيات جنيف.

المعاملة الإنسانية للأسرى: في الرسالة رقم ٥٣، يوجه الإمامُ مالكَ الأشترَ بضرورة «حماية الأسرى من الجوع والبرد والكف عن شتمهم»، وهي توجيهات تتوافق مع المادة ١٧ من اتفاقية جنيف الثالثة (المتعلقة بالمعاملة الإنسانية لأسرى الحرب).

٢. فروق جوهرية (حيث يتجاوز «نهج البلاغة» المقاربات السائدة)

الغرض من الحرب (التركيز على العدالة مقابل التركيز على المصالح): في القانون المعاصر، تُعد الحرب «الملاذ الأخير» لصد العدوان؛ أما في «نهج البلاغة»، فإن الحرب لا تُباح إلا من أجل «إقامة الحق ودفع الظلم» (الخطبة: ١٢٨). وعليه، إذا تمخضت الحرب عن انتصارٍ مشوبٍ بالظلم، فإن الإمام يعتبر ذلك «هزيمةً حقيقية» (الخطبة: ١٢٧). وفي المقابل، تشير المواثيق الدولية أحياناً إلى «المصالح الوطنية» أو «ضمان الأمن» كمبررات للحرب، وهو موقف يتعارض مع الرؤية العلوية.

الالتزامات التي تتجاوز حدود القانون (الأخلاقيات التطوعية): فإلى جانب مجرد حظر الظلم، يفرض «نهج البلاغة» الالتزام بـ«الإنصاف» في الحرب.

٣. المسؤولية تجاه الطبيعة ومصادر الرزق

في الرسالة رقم ٢٧، يوجه الإمام قادته قائلاً: «لا تحرقوا الأشجار، ولا تلوثوا مصادر المياه، ولا تخربوا الأرض». وفي المقابل، يركز قانون النزاعات المسلحة (وتحديداً المادة ٥٤ من البروتوكول الإضافي الأول) في المقام الأول على حظر الهجمات التي تستهدف المنشآت الحيوية – مثل إمدادات المياه والغذاء – بينما يتناول البيئة الطبيعية (غير المصنوعة بيد الإنسان) بقدر أقل من التركيز.

فارق جوهري: تنظر مبادئ «نهج البلاغة» إلى قوانين الحرب باعتبارها «تكليفاً إلهياً» متجذراً في «الكرامة المتأصلة للإنسان» (بصفته خليفة الله في الأرض)؛ وعليه، فإن انتهاك هذه القوانين يُعدّ إثماً وخرقاً للنظام الكوني، وليس مجرد مخالفة قانونية فحسب.

٤. حقوق الإنسان المعاصرة

تستند هذه الحقوق إلى «اتفاقيات علمانية» وإلى الإرادة الجماعية للدول؛ ونتيجة لذلك، فهي عرضة للانتهاك بسهولة في الواقع العملي تحت ذرائع سياسية (مثل مكافحة الإرهاب)، كما أنها تفتقر إلى آليات إنفاذ فعالة، باستثناء المحكمة الجنائية الدولية. وثمة تحدٍّ عملي يواجه عالم اليوم (تحليل للقضايا):

يبرز تباين صارخ عند مقارنة قوانين الحرب الواردة في «نهج البلاغة» بسلوك الدول التي ترفع لواء حقوق الإنسان (مثل الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان)؛ ولا سيما فيما يتعلق بقصف المناطق السكنية والقتل الجماعي للمدنيين (وهو ما يُعد انتهاكاً صريحاً لمبدأ التمييز). إن استخدام أسلحة محظورة –كالفسفور الأبيض– وممارسة التعذيب في سجون مثل «أبو غريب»، تُعد ممارسات تتناقض تماماً مع ما ورد في «نهج البلاغة» من تحريمٍ للتمثيل بالجثث والإساءة اللفظية. وفي المقابل، نجد أن القوانين الإنسانية المقنّنة (كاتفاقيات جنيف) تتشابه إلى حد كبير مع «نهج البلاغة» من حيث المبادئ؛ غير أن الفرق الجوهري يكمن في الروح الكامنة وراء ذلك: ففي

«نهج البلاغة»، يقع على عاتق المقاتل واجب النظر إلى العدو بوصفه «إنساناً ضالاً» ينبغي إعادته إلى جادة الحق (الخطبة ٥٦: «خاطبوهم بما يستميلهم إلى الرجوع»)، بينما يُعرّف القانون الحديث العدوَّ مجردَ «هدف» أو «تهديد».

النتايج

يتمتع «نهج البلاغة» بميزة نظرية مقارنةً بمفاهيم حقوق الإنسان المعاصرة من حيث «العمق» (إذ يتجاوز العدالة ليبلغ مرتبة «الإحسان») و«الشمولية» (التي تجمع بين الحفاظ على البيئة وضمان سبل العيش)؛ غير أنه فيما يتعلق بـ«القابلية للتطبيق العالمي»، فإن اعتماده على الإيمان يجعل فاعليته محصورةً –في المقام الأول– داخل المجتمع الإسلامي. وفي المقابل، ورغم أن حقوق الإنسان الحديثة مُكرَّسة في قوانين متطورة، إلا أنها تتعرض للانتهاك مراراً وتكراراً من قِبَل القوى الكبرى على أرض الواقع، وقد تحولت إلى أدوات انتقائية تخدم المصالح السياسية. وكما قال الإمام علي (عليه السلام) في الخطبة الأربعين: «لا تتحقق العدالة بقوة المال أو السلطة، بل بالإصلاح الداخلي وتقوى الله». وهذا هو بالتحديد العامل الذي يجعل التطبيق الكامل لحقوق الإنسان أمراً مستحيلاً دون وجود ركيزة أخلاقية–إلهية.

أُتُّبِعَت ثلاث استراتيجيات رئيسية في التعامل مع الخصوم: الصبر والتسامح؛ والحوار والتوعية والمجادلة؛ واتخاذ إجراءات حازمة –بما في ذلك القتال– ضد من شنّوا تمرداً مسلحاً (المحاربين). وبالمثل، شملت المبادئ والاستراتيجيات العامة للإمام علي (عليه السلام) في التعامل مع «خاصة» المجتمع (النخبة): السلوك القائم على الفضائل الأخلاقية النبيلة؛ وتجنب الإهانة أو الانتقاص من القدر؛ والنأي بالنفس عن الانحياز لمثيري الفتنة؛ والحزم –لا سيما فيما يتعلق ببيت المال–؛ وعدم التمييز بين النخبة وعامة الناس؛ والرقابة الصارمة على الأداء، مقترنةً بالتنبيه في الوقت المناسب واتخاذ إجراءات حاسمة تجاه أفراد النخبة.

يمكن تلخيص الأنماط السلوكية للإمام علي (عليه السلام) في تعامله مع أصحابه من خلال سمو أخلاقه، وإظهاره للمودة، وما اتسم به من رعاية ومواساة، واهتمامه البالغ بتوجيههم روحياً وتربيتهم، وموقفه الحازم –الذي يتضمن العتاب والتقويم– تجاه أي سلوك غير سليم، فضلاً عن تعزيزه لروح الجهاد والمقاومة لديهم في مواجهة العدو. كما كان يشجع أصحابه بفاعلية من خلال إبراز الصفات الفاضلة لمن كانوا أهلاً للاستحقاق والصلاح منهم.

أما في تعامله مع دعاة الحرب، فقد كان الإمام علي (عليه السلام) يبدأ بانتهاج الصبر والأناة وتقديم النصح والحوار والسعي لتبيان الحق. ومع ذلك، إذا أصرّ أولئك على شن الحرب أو ارتكاب أفعال تهدد أمن قائد المسلمين والمجتمع الإسلامي، فإنهم كانوا يواجهون موقفاً حازماً من الإمام الجليل؛ ورغم ذلك، كان يحرص دائماً –حتى في مثل هذه المواجهات– على تقديم النصح ومحاورة الطرف الآخر قبل اللجوء إلى القتال، محذراً إياهم من عواقب الحرب. على خلاف نهج الخلفاء السابقين، امتنع ذلك الإمام الجليل عن إجبار الناس على مبايعته؛ ورغم أنه وبعض أصحابه دعوا من اعتزلوا القتال إلى نصرتهم، إلا أنه لم يُكرههم قط على المشاركة في الحرب، حتى في أحلك الظروف القتالية. إن العثور على القدوة الحسنة حاجةٌ دائمة للبشرية، وللمجتمع المسلم على وجه الخصوص؛ وقد لبّى الأئمة المعصومون (عليهم السلام) هذه الحاجة للمجتمع المسلم بفضل مكانتهم السامية وشمائلهم النبيلة. ويُعد الإمام علي (عليه السلام) شخصيةً أسرت –على مر القرون– عقول وقلوب عامة الناس والمفكرين على حد سواء بما تميز به من فكرٍ نقيٍّ مُستمدٍّ من الوحي وسلوكٍ قويم، ليغدو بذلك تجسيداً حقيقياً للكمال الإلهي.

أثبت الإمام علي (عليه السلام) –خلال حياة النبي (صلى الله عليه وآله)– جدارته واستحقاقه للقيادة، حيث عيّنه النبي بنفسه خليفةً له في مناسباتٍ عديدة. غير أنه عقب وفاة النبي، عمل خصومٌ تحركهم المصالح الذاتية على زعزعة الاستقرار السياسي وعارضوا الإمام علي (عليه السلام) بوضوح؛ وقد التزم الإمام في تعامله معهم بمبادئ وأساليب ينبغي لكل مسلمٍ أن يدركها. ومن هذا المنطلق، تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي لاستكشاف الأسس والاستراتيجيات التي وظّفها الإمام علي (عليه السلام) في مواجهة الخصوم الفكريين، مع التركيز بشكلٍ خاص على كتاب

«نهج البلاغة»؛ إذ يُعد فهم الخصم ودوافعه الخطوة الأولى في مثل هذه المواجهة.

تحرك خصوم الإمام بدافع عوامل شتى، منها السعي وراء السلطة، والحسد، والحقد، والطمع، والرغبة في الامتيازات الخاصة، والجهل، والجمود الفكري. ومع ذلك، اتسم تعامل الإمام معهم بالحلم والنصح وحسن النية؛ إذ كان يغتنم كل فرصة لتقديم التوجيه والإرشاد، ويجيب بصبر ومنطقية عما يطرحونه من اعتراضات وانتقادات. غير أنه، حين كان ييأس من هدايتهم، كان يكشف للعامة عن حقيقتهم، مُعرِّفاً المجتمع بأفكارهم ومُحرِّراً الناس من شباكهم. أما المرحلة الأخيرة في التعامل مع الأعداء فكانت المواجهة العسكرية، ومع ذلك لم يبادر الإمام قط ببدء القتال، بل كان يكتفي دائماً بالرد الدفاعي.

المراجع

نهج البلاغة

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (١٤٠٤ه). الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر.

أحمديان أحمدآبادي، أكرم، وعباس علي فرحتي (١٣٩٣ه.ش / ٢٠١٤م). «المبادئ الأخلاقية والتربوية في التعامل مع الخصوم في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)». **المجلة نصف السنوية للتعاليم التربوية في القرآن والحديث**، ع ١.

البحراني، ميثم بن علي بن ميثم (١٣٧٥ه.ش / ١٩٩٦م). **شرح نهج البلاغة (شرح ابن ميثم)**. ترجمة: حبيب الله روحاني. مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، العتبة الرضوية المقدسة.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٠٠٦م). **أنساب الأشراف**. تحقيق: محمد باقر المحمودي. قم: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

الثقفي الكوفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (١٣٥٣ه.ش). **الغارات**. تحقيق: جلال الدين محدث. طهران: سلسلة منشورات الجمعية الوطنية.

دولو، مصطفى (١٣٩٠ه.ش). **تعريف الجريمة السياسية مع الإشارة إلى معاملة الخصوم في سيرة الإمام علي (عليه السلام)**.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (١٣٦٨ه). **أخبار الطوال**. ترجمة: محمد مهدي دامغاني. طهران: دار نشر نى.

السبحاني، جعفر (١٣٧٩ه.ش). **فروغ الولاية**. قم: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام).

السيد الرضي، محمد بن الحسين (١٣٩٤ه.ش). **نهج البلاغة**. ترجمة: علي الشيرواني. قم: مكتب ممثل المرشد الأعلى في الجامعات.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين (١٩٩٩م). **نهج البلاغة**. ترجمة: سيد جعفر شهيدي. طهران: المنشورات العلمية والثقافية.

ضياء بيغدلي، محمدرضا (١٩٩٣م). **الإسلام والقانون الدولي**. طهران: مطبعة جامعة العلامة الطباطبائي.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٩٧م). **تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)**. تحقيق: عبد الله علي مهنا. بيروت: دار الكتب العلمية.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (١٤١٢ه). **معجم الفروق اللغوية**. قم: منشورات جماعة مدرسي حوزة قم العلمية.

المحمودي، محمد باقر (١٩٩٧م). **نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة**. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (١٤١٣ه). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تحقيق: عبد الأمير مهنا. بيروت: دار الأضواء.

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (١٤١٨ه). **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**. بيروت: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (د.ت). **موقعة الجمل**. ترجمة: محمد مهدي دامغاني. طهران: دار نشر نى.

المنقري، نصر بن مزاحم (٢٠٠٣م). **وقعة صفين**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع.

مهدي دامغاني، محمود (٢٠٠٦م). **جلوه‌هاى تاريخ در شرح نهج البلاغة [انعكاسات التاريخ في شروح نهج البلاغة]**. طهران: منشورات نى.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (١٩٦٣م). **تاريخ اليعقوبي**. ترجمة: محمد إبراهيم الآياتي. طهران: مؤسسة النشر العلمي والثقافي.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال نهم، شماره یکم، پیاپی ۱۷، پاییز و زمستان ۱۴۰۴ (۱۵-۲۶)
DOI: ۱۰,۳۰٤۷۳/anb.۲۰۲٦,۷۲٦٥۷,۱٤۲۸

«مقاله پژوهشی»

رئالیسم اخلاقی در اندیشه امام علی(ع) در مواجهه با مخالفان با تاکید بر حقوق بشر

رضوان نجفی[۱*]، کتایون نصیری[۲]، محمدرضا محمودپناهی[۳]

۱. دانش‌آموخته دکتری فلسفه و کلام اسلامی، مدرس دانشگاه آزاد، کرج، ایران.
۲. دانشجوی دکتری نهج‌البلاغه (علوم علوی) دانشگاه پیام نور تهران جنوب، تهران، ایران.
۳. استادیار گروه معارف اسلامی، دانشکده الهیات، دانشگاه پیام نور، تهران، ایران.

نویسنده مسئول:
رضوان نجفی
رایانامه: Najafirezvan۷۰@gmail.com

تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۰۹/۰۲
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۵/۰۶/۲۲

چکیده

مهمترین اصل در واقع‌گرایی در برخورد با دشمن، منطقی عمل کردن است، دعوت به آرامش، صلح، رعایت ادب و دعوت به گفت و گو است که این مهم در منش و گفتار امام علی علیه السلام بسیار به چشم می‌خورد. در اندیشه امام علی(علیه السلام) پیوند عقلانیت با واقع‌نگری و همچنین سازگاری آن با آرمانخواهی مورد پذیرش قرار گرفته و از نگرش یکسویه و انحصارگرایانه در این زمینه اجتناب شده است. بدین جهت، نحوه مواجهه و چگونگی جمع «آنچه هست» و «آنچه باید، باشد»، مسأله‌ای است که تأثیر آن در مشروعیت و مشارکت اجتماعی در پیوند با انسجام‌بخشی جامعه حائز اهمیت است. حضرت امیرالمؤمنین (علیه‌السلام) حدود ۵ سال حاکمیت جهان اسلام را عهده‌دار بودند و لذا روش حاکمیت‌شان، نه تنها منشور حقوق بشر، که دایره‌المعارف روش حاکمیت در هر عصر و زمانی است و از آن جا که دوران ایشان مصادف با ظهور احزاب، فرقه‌ها، اندیشه‌ها و تفکرات مختلف بسیاری است، الگوی برخورد ایشان با تمام اقشار جامعه و حتی دشمنان حضرت (علیه السلام)، نقشه‌ی راهی پیش روی حاکمان دوران پرطمطراق افکار و اندیشه‌ها نهاده است. در این پژوهش که شیوه آن انجام تحلیل مضمون، به بیان واقع‌نگری در اندیشه‌ی اجتماعی امیرالمؤمنین (علیه السلام) در برخورد با دشمن با رویکرد اخلاقی می‌پردازد. همچنین به این سؤال پاسخ داده شد که رویکرد اخلاقی در اندیشه اجتماعی امام علی (علیه‌السلام)، در اهمیت واقع‌نگری در برخورد با دشمنان چگونه بوده است. این پژوهش برآن است که به واقع‌گرایی برخورد با دشمن را در سیره و گفتار امام علی (علیه‌السلام)، در نهج‌البلاغه نشان دهد.

واژه‌های کلیدی

امیرالمؤمنین (علیه‌السلام)، نهج‌البلاغه، واقع‌نگری، اندیشه‌اجتماعی، رویکرد اخلاقی.

استناد به این مقاله:

نجفی، رضوان؛ نصیری، کتایون و محمودپناهی، محمدرضا. (۱۴۰۴). تحلیل سطوح مدیریت افکار عمومی در خطبه جهاد نهج‌البلاغه. *دراسات حديثة في نهج‌البلاغة*، ۹(۱)، ۱۵-۲۶.
(DOI: ۱۰,۳۰٤۷۳/anb.۲۰۲٦,۷۲٦٥۷,۱٤۲۸)

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۴ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.
این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial ٤,٠ International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/٤,٠/)